مصائب الدنيا وكيف يتلقاها المسلم

● **الغاية من الخطبة** : بيان السلوك الشرعى السديد فى مواجهة مصائب الدنيا والحث على الالتزام به وعدم تجاوزه .

● **العناصر الأساسية :**

(١) مصيبة الموت قَـدَرُ كلِّ كائن حَىٍّ ، وشرط تجدد الحياة .

(٢) مصائب الدنيا فى كتابٍ عند الله تعالى .

(٣) المصائب امتحان للعبد .

(٤) جهل العباد بالخير والشر .

(٥) ثواب الله على الصبر على المصائب .

(٦) الرسول ﷺ : الأسوة الحسنة فى الصبر على المصائب .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٥) ويقولُ أيضاً ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٤) فى هاتيْـن الآيتيْـن الكريمتيْـن يُحدِّثُنا ربُّنا ﷻ عن أكبرِ مصائبِ الدنيا ، وهى مصيبةُ الموتِ . فى الآية الأولى يُذكِّرُنا بالحقيقةِ الكبرى الشاملةِ التى لا استثناءَ فيها ولا تَبديلَ ولا تَغْـييرَ ، وهى أنَّ كلَّ نَفسٍ وكلَّ كائنٍ حَىٍّ لا بُـدَّ أن يموتَ . وعلى ذلك تَهُـونُ المصيبةُ ؛ ثم يُنبِّـهُـنا إلى أنَّ الموتَ امتحانٌ للعِـبادِ ، كما أنَّ الخَيْـرَ امتحانٌ لهم . والمؤمن الحكيمُ العاقلُ يَسْـعَى إلى النجاحِ فى هذا الامتحان ، فَيَـنَالُـه ثوابُ اللهُ العظيم .

والعبادُ سواءٌ فى ذلك : الملوكُ والصعاليكُ ، والعلماءُ والجُهَّالُ ، والأثرياءُ والفقراءُ ، الرِّجالُ والنساءُ ؛ فلا خُلُودَ لأحدٍ . وهذا هو مَا تقولُهُ الآيةُ الثانيةُ . ولَوْ كَتَبَ اللهُ الخلودَ لأحَدٍ لَعَظُمَتْ مُصيبةُ الموتُ عند كلِّ مَنْ يَموتُ ، وعند أهْلِه . ومِن البَدَهِيِّ أنَّ نظامَ الدنيا يَختلُّ ويضطربُ وينهارُ لَوْ لم يَجْعَلِ اللهُ الموتَ نهايةً لكلِ كائنٍ حيٍّ . فالدنيا لا تتَّسِعُ لكلِّ تلك الأعدادِ من البَشرِ والحيوانِ والطيرِ . وهذه الحقيقةُ تجعلُ العبادَ يقَدِّرون عظَمةَ التدبيرِ الإلهيِّ ، والنظرِ إلى مصيبةِ الموتِ نظرةً إيجابيةً ، فهى مُحْزنة لكنَّها الشَّرطُ الضرورىُّ لتتابُعِ الأجيالِ وتجديدِ الحياةِ ، والخَلاصِ من ضَعْفِ الشيخوخةِ وآلامِها وعُقَمِها .

- والمؤمنُ باللهِ يعلمُ يقيناً أنَّ الموتَ نهايةٌ للحياةِ الدنيا ، ولكنَّ حَياة أُخْرَى لا رَيْبَ فيها سوفَ تكونُ دَائمةً ، لا زائلةً كالحياةِ الدنيا . وهذا يُهوِّنُ على المسلمين مُصيبةَ الموتِ ، فيقولون ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة:١٥٦). ويقولون ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (الفجر:٢٧-٣٠).

(٢) والقرآنُ الكريمُ يُبيِّنُ لنا أن اللهَ تعالى لا يُريدُ للمسلمين أن يُبالغُوا فى الحُزْن أو الفَرَح ، وأن يلْتزِموا الاعْتِدالَ الحكيمَ في إبْدَاءِ مَشاعِرِهم ؛ وأنه جَلَّ شأنُهُ كتبَ مَصَائرَ الخَلْقِ عنده في كتابٍ من أجْلِ تحقيقِ ذلك الاعتدال . يقولُ تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد:٢٢،٢٣) والرسولُ ﷺ يشرحُ هذه الحقيقةَ الإيمانيةَ فيقولُ :« لا يَجدُ أحَدُكم طَعمَ الإيمان حتى يعلمَ أنَّ ما أصابَه لم يَكنْ لِيُخْطِئَهُ ، وما أخْطَأَه لمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ » . فالمصائبُ التى تُصيبُنَا في أموالِنا وأولادِنا وأنفُسِنا مَكتوبَةٌ عندَ اللهِ تعالى في كتابٍ ، قبلَ أنْ تَقَعَ لنا . وهى لا بُدَّ أن تقعَ في المكانِ الذى أرادَهُ اللهُ وفى الزمانِ الذى قَدَّرَهُ سبحانَه وتعالى ، ولا رَادَّ

لِقَضَائِهِ . والحديثُ الشريفُ يُبَيِّنُ لنا أن الإيمانَ بقَدَرِ اللهِ تعالى يُحَتِّمُ علينا اليقينَ بأن ما يُصيبُنا يستحيلُ اجتنابُه ، وأن ما يفوتُنا أو يضيعُ مِنَّا يستحيلُ الحصولُ عليه . فإذا قَدَّرَ اللهُ لنا فَقْدَ عَزيزٍ فسوف نفقِدُهُ مهما فَعَلنا ومهما احْتَطْنا . وإذا قَدَّرَ لنا ألاَّ نفقِدَهُ فَلَن نفقِدَهُ . فلماذا نُسْرِفُ فى الحُزنِ عند فَقْدِه ؟

(٣) ويقولُ اللهُ تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٥) ويقولُ سبحانَه ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك:١،٢) فالشرورُ التى تُصيبُنا والخَيْراتُ التى تَتَيَسَّرُ لنا كلُّها ابتلاءٌ أو امتحانٌ . والموتُ والحياةُ ، والصحةُ والمرضُ ، والثراءُ والفقرُ ، والنجاحُ والفشلُ ، كلُّها اختباراتٌ للعبادِ . فإذا علِمْنا ذلك وأرَدْنا النجاحَ كانَ علينا أن نواجِهَ المصائبَ بقلبٍ ثابتٍ وانْفِعَالٍ مُعْتَدِلٍ ، فالمسلمُ لهُ أن يَحْزَنَ كما يَحْزَنَ الناسُ عندما تصيبُه مصيبةٌ ، لكنَّه يمتازُ بالاعتدالِ والصبرِ والتَّجَمُّلِ والتسْليمِ بقضاءِ اللهِ والرِّضا به .

(٤) ويُقوِّى قَلْبَ المؤمنُ أمامَ المصائبِ عِلْمُهُ بأنه لا يعْلَمُ الخَيْر والشَّرَّ على وَجْهِ اليقين ؛ وكثيراً ما أصابَ الناسَ من مَصَائبَ حَزِنوا بسببِها ، ثم تبيَّن لهم بعد ذلك أنها كانتْ فَاتحةَ خَيْرٍ كبيرٍ! وكثيراً ما فَرِحَ الناسُ بأحداثٍ ظَنُّوها خيراً لهم ، ثم تبيَّن لهم بعد ذلك أنها كانتْ وَبَالاً عليهم . واللهُ تعالى يُنَبِّهُ عِبَادَهُ إلى هذه الحقيقةِ فيقولُ ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢١٦) ويقولُ سبحانَه ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩) فإذا عَلِمتَ أيها المسلمُ بهذه الحقيقة وأيْقَنْتَ بصِحَّتِها ـ فإن مَشَاعِرَ الحُزْنِ لَدَيْكَ لا بُدَّ أن تعْتَدِلَ عند المُصيبةِ التى قد يكونُ فيها الخيرُ أو وَرَاءَها أو بسببِها ، وتعتدِلَ مشاعرُ الفرحِ عند حدوثِ الخيرِ الذى قد يكونُ فيه الشرُّ أو وراءه أو بسببه .

(٥) فإذا فهمنا نحن المسلمين هذه الحقائقَ الإسلامية فإننا نستطيعُ أن نُواجِهَ المصائبَ في ثباتٍ ووَقَارٍ واعْتدَالٍ . وهذا هو الصبرُ الذى أمَرَنا به ربُّنا ﷻ ، حين قالَ ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾ (المعارج:٥) وحين قال ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (النحل:١٢٧) وأشَادَ بالصابرين فقالَ ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (آل عمران:١٨٦) ووَعَدَهم بالجَزَاءِ الحَسَنِ فقالَ عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(النحل:٩٦) وعن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قالَ : «يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يومَ القيامَةِ - حين يُعْطَى أَهْلُ البَلاءِ ثَوَابَهم - لَوْ أن جُلُودَهم كانتْ قُرِضَتْ في الدنيا بِالمَقَارِيض!»(عن جابر ﷺ). وعن أَنَس أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ :« إنَّ أَعظَمَ الجَزَاء معَ أَعظمِ البلاء ، وإنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قوماً ابتَلاَهم ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَه الرِّضا ، ومَنْ سَخِطَ فَلَه السُّخْط!» وعن أُمِّ المؤمنين عائشة ﵂ قالتْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ :« لا تُصيبُ المسلمَ شَوكَةٌ فَمَا فَوْقَها إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ بها درجةً وحَطَّ عنه خَطيئةً .» وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : «عَجَباً لأمْرِ المؤمن! لا يَقْضِي اللهُ قَضَاءً إلاَّ كان خيراً له : إنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خيراً لَه . وإنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خيراً لَهُ ، ولَيسَ ذلك لأحَدٍ إلاَّ للمؤمِن .» (مُتَّفقٌ عليه) . فهذه هى صورةُ المؤمنِ في مُوَاجَهَةِ المصائبِ وفى مُوَاجَهَةِ الخيراتِ . إنها صورةٌ مثاليةٌ رائعةٌ للإنسانِ الحكيمِ الواثقِ القادرِ على احْتمالِ المشَاقِّ - الإنسانِ الذى لا يَهْتَزُّ ولا يَنْهَارُ ولا يَخُورُ ، بفضلِ اللهِ له ، ولُجُوئهِ إليه وَقْتَ الشِّدَّةِ والمصيبةِ .

(٦) والرسولُ ﷺ هو المثلُ الأعْلى للمسلمين في كلِّ شيءٍ . وقد مَاتتْ أُمُّهُ وعُمُرُهُ سِتُّ سَنَواتٍ ، وكانتْ وَفَاتُها في مكان يُسَمَّى «الأبْواء» بين مكة والمدينة . ولَقِيَ أولادُهُ جميعاً ربَّهم في حياتِه ، عَدَا فاطمةُ ﵂ . (أولادُ النبي الذكور ثلاثة هم القاسمُ وعبدُاللهِ - وهو نفسُه الطاهرُ - وإبراهيمُ . والإناثُ أربَعٌ .) وفى عامٍ واحدٍ فَقَدَ ﷺ زَوجَته المجاهدةَ العظيمةَ خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدْ ، وعَمَّه

أبا طَـالبٍ ، الذى كان يقفُ إلى جِـوَاره في السَّـرَّاءِ والضَّـرَّاءِ . وَسُـمِّـىَ ذلك العامُ عامَ الحُـزْن . ولمَّا ماتَ وَلَـدُهُ إبراهيمُ بَـكَى عليه الصلاةُ والسلامُ ، وقالَ : « العَـيْنُ تَـدْمَعُ والقلبُ يحزنُ ، ولا نقولُ ما يُسْـخِطُ الرَّبُّ . » فكان ﷺ الأُسْـوةَ الحَـسَـنَـة للمسلمين . وعلى كلِّ مسلم أن يلْـتزمَ بهذا السلوكِ الإسلامىِّ الرَّشيدِ ولا يتجَـاوَزُه إلى ما يُسْخِطُ رَبَّه .

(الدعاء)

دروس الهجرة

● **الغاية من الخطبة** :بيانُ الدروسِ العظيمة التي تتمثل في الهجرة النبوية الشريفة.

● **العناصر الأساسية** :

(١) جهاد النبي ﷺ في مكة واعتداءات المشركين على المسلمين .

(٢) الهجرة إلى الحبشة .

(٣) الهجرة إلى المدينة .

(٤) استقبال الأنصار لإخوانهم المهاجرين ، وتأسيس الأمة والدولة المسلمة .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- في هذه الأيامِ نتذكرُ الهجرةَ النبويةَ المشرَّفةَ من مكةَ المكرمةِ إلى المدينةِ المنورة . ونُريدُ أن نتعلَّمَ منها الدروسَ العظيمةَ التي تنطوي عليها . إننا نعلمُ أن النبي ﷺ قضى ثلاثةَ عشرَ عاماً يدعو إلى دينِ اللهِ في مكةَ المكرمةِ قبلَ أن يُهاجرَ إلى المدينة . وكان يرْجو أن يهديَ اللهُ قوْمَهُ إلى الإسلامِ ونبْذِ الشرْكِ والوثنية . لكنَّ عدداً صغيراً من أهلِ مكةَ هو الذي قَبِلَ الإسلامِ وآمنَ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ وبالقرآن الكريم . وعاندَتْ الأغلبيةُ ورفضَتْ التوحيدَ وتمسَّكتْ بالأصنامِ التي وجَدوا آباءَهم يعبدونها . ولم تكْتفِ الأغلبيةُ بالرفضِ والعِنادِ ، بلْ اعْتدَتْ على النبيِّ ﷺ وعلى أتباعِهِ المسلمين وآذَتْهم أذىً شديداً . ونحنُ جميعاً نعرفُ قصةَ بلالِ بن رباحٍ ﷺ وكيف كان سيدُهُ يُعذِّبُه بوضعِ الحجرِ الضخمِ على صدره في هَجيرِ الصيفِ الحارقِ لكي يتراجَعَ عن الإسلامِ ويرتَد إلى الكفرِ ، وكيف كان إصرارُ بلال على دينهِ وقولُه : أحَدٌ أحَدٌ ! وقد أوشكَ أن يموتَ تحت العذابِ الأليمِ ، لولاً أنِ اشتراهُ أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ وأعتَقه !

- ولم تكنْ قصةُ بلال هي الوحيدةُ ، فقد امتدَّ العدوانُ إلى جميعِ المسلمين ، بالضربِ والحَبسِ والهَجْرِ والمُقاطعةِ ، فعَانَى المسلمون العناءَ المريرَ ، وخافَ الذين كانوا يُفكرون في اعتناقِ الإسلامِ ، فلمْ يُسلموا ! ونالَ النبيَّ الكثيرُ من الأذى . فقد عقدَ المشركون بينهم عَهداً بمُقاطَعتِه هو وقبيلتُه بنى هاشمٍ ، اقتصادياً واجتماعياً ، وحَاصروهم في الحيِّ الذي كانوا يسكنون فيه . وحَاولَ رَجلٌ من المشركين اسمُهُ عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ قَتْلَ النبيِّ وهو ساجدٌ إلى جوارِ الكعبةِ بخَنْقِهِ بثَوْبٍ مُستغلاً اسْتِغراقَ النبيِّ ﷺ في عِبادَته . ولولا أن سَارَعَ أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ إلى منعهِ من ذلك لبَلَغَ ذلك المُشركُ غَرَضَهُ الإجراميَّ الخَسيس!

- وكان النبيُّ ﷺ في مواسمِ الحَجِّ يَزورُ الوافدينَ من القبائلِ ويَعْرِضُ عليهم الإسلامَ ، فلا يستجيبون لدَعوتِه ، ويشْترطون لحِمايةِ الدعوةِ - إذا نجَحَتْ - أن يكونوا الأمراءَ أو الحكَّامَ . وكان الرسولُ ﷺ يُخبِرُهم أنَّ أجْرَهم على اللهِ في الآخرةِ ، فيسْخرونَ منه ، ويخذلُونَه . وكان عَمُّه أبو لهَبٍ يتبَعُهُ ، ويُنفِّرُ الناسَ منه ، ويتَّهمُهُ بالجنون ! وسافرَ ﷺ إلى الطائفِ ليدعوَ أهلَها إلى الإسلامِ ، فخَذَلوهُ وردُّوهُ حَزيناً آسِفاً .

٢- هكذا كانت تضحياتُ الرُّوادِ العِظامِ الذين اتَّبعوا النبيَّ ﷺ في مكة . إنها تدلُّ على إيمانِهم الراسخِ المتينِ ، وعلى صَبرهم وقوةِ عزائمِهم واسْتعدادِهم للتضحية بكلِّ غالٍ ورخيصٍ في سبيلِ الإسلامِ . **وسوفَ نرى أن التضحيةَ هي أهمُّ الدروسِ التي نتعلمُّها من الهِجْرةِ المباركة ، وأنها سببُ انتشارِ الإسلامِ وارتفاعِ شأنِه ، وقيامِ دَوْلتِه ، وأنها أهمُّ ما نحتاجُ إليه اليومَ لاسْتعَادةِ الإسلامِ مكانتَه** . وبغيرِ التضحيةِ بالمالِ والوقتِ والجهدِ والنفسِ لن نستطيعَ أن نُعيدَ للإسلامِ مكانتَه . ولم يستسلِمْ المسلمون ، بل هاجَر بعضُهم إلى الحَبَشةِ ، (وهي التي تُسمَّى إثيوبيا الآن) لأنَّ مَلِكَها النجاشيَّ كان رجُلاً نصرانياً عادلاً . هاجَرَ المسلمون فِراراً بدينهم ، وكانوا حوالي ثمانين رجلاً وامرأةً . وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجتُه رُقَيَّةُ

ابنةُ النبيِّ . تركَ هؤلاء المهاجرون بُيوتهم وأموالَهم وتجاراتِهم وأهليهم ، إلى بلادٍ هُم فيها غُـرَبَاءُ ضعفاء فقراءُ ، وتعرَّضوا للغَرقِ في البحر الأحمرِ حين عَبَروه إلى شواطئ إفريقيا . وهنا نقابلُ الدرْسَ العظيمَ نَـفسَه : دَرْسَ التضحيةِ بكلِّ غالٍ ورخيصٍ ، ودَرْسَ الصبرِ والاحتمالِ للمَشَـاقِّ العُظمَى في سبيلِ الغايةِ العُظمَى ـ أيِّ نُـصْرَةُ دينِ اللهِ تعالى . وقد طارَدَهم المشركون فأرْسَـلوا وراءهم رَجُلَيْن إلى الحَبَشةِ ، وقد قابَـلا النجاشيَّ وحَرَّضوهُ ضِـدَّ المسلمين قائلين إنهم يزعُمون أنَّ المسيحَ ابن مَريَمَ عَبْدٌ ! والنجاشيُّ يؤمنُ بأنه ابنُ اللهِ ! لكنَّ النجاشيَّ خَيَّـبَ رَجَاءهم ورَفضَ طرْدَ المسلمين ، وأصَرَّ على حُسْنِ مُعَاملتِهم حتى عادوا أخيراً إلى بلادِهم .

٣- وشاءَ اللهُ تعالى أن يكونَ فضْـلُ احتضَانِ الدعوةِ من نصيبِ أهلِ المدينةِ ، الذين كانوا قد سَمِعوا من اليهودِ في المدينةِ أن نبيًّا سوفَ يُـبْعَثُ . قابَلَ النبيُّ ﷺ ستةً منهم في أحَدِ مَواسِمِ الحَجِّ ، وكلَّـمَهم فاسْتمَعوا لهُ ، وقرأ عليهم شيئاً من القرآنِ الكريمِ ، ودَعَاهم إلى الإسلامِ فأسلموا . ثم عادوا إلى بلادِهم ونشروا الإسلامَ هناك على نطاقٍ واسعٍ . وعَاهَدوا النبيَّ ﷺ فيما يُسمَّى «بَـيْـعَةُ العَقَبَةِ الأولى» ثم الثانيةِ على بَذْلِ الأموالِ والأنْـفُسِ في سبيلِ اللهِ ، وابْـتِغَاءَ مَرْضَاتِه وثوابِـه الأُخْـرَويِّ لا لغَرَضٍ من أغراضِ الدنيا . ولم يَخذُلوا النبيَّ ﷺ في أيِّ مَوْقِفٍ في السِّـلْمِ أو الحربِ ، ولم يَخذُلوا الخلفاءَ الرَّاشدين من بعدِه ، فأحبَّهم النبيُّ حُبًّا عظيماً وامْتدَحَهم القرآنُ الكريمُ ، وسَمَّاهم الأنصارَ . وقالَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ : «أنتم أحَبُّ الناسِ إليَّ» . وقالَ أيضاً : «أوصِيكم بالأنصارِ ، فإنهم كَـرِشي وعَـيْـبَتي». يعني هم موضعُ سِرِّي . وقال كذلك : « . . . لو سَلكَ الأنصارُ وادِياً لَـسَلَـكتُ وادِيَ الأنصارِ» .

٤- وهكذا صارَ للإسلامِ مَحضَنٌ آمِنٌ في المدينةِ . وعلى ذلك أمَرَ النبيُّ ﷺ المسلمين بالهجرةِ من مكةَ إليها ، ثم هاجَرَ هو نفسُه ومعه الصِّديـق أبو بكـر ورَاءَهم . وتكررت التضحياتُ الجِسَامُ التي بَذَلها المهاجرون ﷺ . ووَصَفهم القرآنُ

الكريمُ فقال إنهم ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ (الحشر:٨). وكان الصحابيُّ الجليلُ أبوسَلَمَةَ أوّلَ المهاجرين ، وقد اعترضَ المشركون طريقَه ، وانتزعوا منه امرأتَه عَنْوَةً ، وكذلك انتزعوا ولدَه سَلَمَةَ ، لكي يتراجعَ ، فلم يتراجَعْ ، وانطلَقَ إلى المدينة مُهاجراً بدينِهِ ، فكان مَثلاً أعلى في التضحيةِ وقوةِ العزيمةِ . وهاجَرَ صُهَيْبِ الرّوميُّ ، فجَرَّدَه المشركون من أموالِه قبل أن يُغادِرَ مكةَ ، فلم يتخاذَلَ ، فقالَ الرسولُ ﷺ حين علِمَ بذلك : «رَبِحَ صُهَيْبٌ رَبِحَ صُهَيْبٌ!» وتتابعَتْ قوافلُ المهاجرين ، ففكَّرَ المشركون في قتْلِ النبيِّ ﷺ ، وأحاطَ شبابُهم بدَارِه ، لكنه خرَجَ دونَ أن يَرَوْه ، وقد غشّى اللهُ على أبصَارِهم ثم خرَجَ من مكةَ وبصُحْبَتِهِ أبو بكرٍ الصديق ، فمكَثَ ثلاثة أيامٍ في غارِ ثورٍ ، ثم انطلقا معاً إلى المدينةِ ، والمشركون يُطاردُونَهم دونَ جَدوى ، وذلك بفضلِ اللهِ تعالى ونصْرِه . وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٤٠). فالرسولُ فكَّرَ ودبَّرَ واحْتاطَ ، واللهُ تعالى نَصَرَهُ وأيَّدَه بجُنودِه .

- واستَقبَلَ المسلمون في المدينةِ النبيَّ ﷺ وصَاحِبَه أحسنَ استْقبالٍ ؛ ثم شرَعَ ﷺ أيضاً في مؤاخَاةِ المهاجرين والأنصَارِ ، والتأليفِ بينهم ؛ ونزلَ القرآنُ الكريمُ مؤكِّداً الإخاءَ والولاءَ والنُّصْرَةَ بينهم فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (الأنفال:٧٢). ووَحَّدَ النبيُّ بين قبيلتَي الأوسِ والخَزْرَجِ سُكان المدينةِ الذين سُمُّوا الأنصارَ، بعدَ أن كانوا أعداءً ، فنَشأَتْ الأمةُ المسلمةُ الواحِدَةُ الموَحَّدَةُ من الأنصارِ والمهاجرينَ . ثم بُنِيَ المسجدُ النبويُّ الشريفُ ، وقامَتْ

الدولةُ الإسلاميةُ الأولى وطبَّقتْ الإسلامَ في كلِّ نواحِي الحياةِ . وبعدَ سنتيْنِ من الهجرةِ وقعَتْ أُولى المعاركِ الكبيرةِ ضِدَّ مُشركي مكةَ في «بَدْرٍ» .

- وهكذا نرى أن الدرْسَ الأكبَرَ في الهجرةِ الشريفةِ هو : التضحيةُ بالمالِ والنَّفسِ في سبيلِ الله تعالى ، وهو الذي نحتاجُ إليه اليومَ بعد أن نسينا التضحيةَ واسْتبَدَّتْ بنا الأنانيةُ وحُبُّ الدُنيا . فهل نُراجِعُ أنفسَنا، ونُصحِّحُ أخطاءَنا، ونمارسُ التضحيةَ كلٌّ على قَدْرِ طاقتِهِ ، وكلٌّ في مجالِ حياتِهِ ؟ ذلك هو السؤالُ المهمُّ في ذِكْرَى الهجرة .

(الدعاء)

الجهاد بالمال

● **الغاية من الخطبة** : حث المسلمين على التبرع للعاملين فى سبيل الله .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الجهاد بالمال تجارة رابحة مع الله تعالى .

(٢) الثواب المضاعف للجهاد بالمال .

(٣) الجهاد بالمال دليل على صدق إيمان المسلم .

(٤) البخل والامتناع عن الإنفاق فى سبيل الله هلاك للأمة .

(٥) شناعة التخلف عن الجهاد بالمال .

(٦) النبى ﷺ هو الأسوة الحسنة فى الجهاد بالمال .

(٧) النجدة الإسلامية عبر التاريخ ومساعدة الشعوب المسلمة بعضها بعضاً .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الصف:١٠،١١) فى هاتيْن الآيتيْن الكريمتيْن يصوِّرُ اللهُ تعالَى الجهادَ فى سبيلِ اللهِ بالنفسِ والمالِ على أنه تجارةٌ مع اللهِ تعالى ، وتجارةٌ عظيمةُ الرِّبْحِ ، لأنَّها تُنْجِي المؤمنَ من العذابِ الأليمِ في الدنيا والآخرةِ ، ولأنَّ التَّخَلُّفَ عن الجهادِ يؤدِّى إلى ذُلِّ المسلمين أمَامَ أعدائِهم من الكفارِ الذين يتربَّصُون بهم من كلِّ جانبٍ . وَلأنَّ التَّخَلُّفَ عن الجهادِ يُغْضِبُ

اللهَ تعالَى على المُتَخَلِّفين فيَقْذِفُ بهم فى جهنمَ لِيذُوقُوا العَذَابَ الأليم . وَقَبْلَ الجِهادِ لا بُدَّ من الإيمان باللهِ تعالى وَمَلائِكتِه وكتبه وَرُسِلِه واليومِ الآخرِ والقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّهِ . فالإيمان باللهِ ورسُولِه شَرْطٌ أَوَّلِيٌّ لِقَبُولِ العملِ . وَلَوْ أَنَّ إنساناً جاهدَ أَعْظَمَ جِهادٍ ، لكنه لم يكنْ مُؤمناً ، لَماَ كانَ لجهادِهِ قيمةٌ أو ثوابٌ عند اللهِ ، لأنه جَاهَدَ في سبيلِ أَرْضٍ أَو قَبِيلَةٍ أو أيِّ شيءٍ آخَرَ ، ولم يجاهدْ في سبيل الإسلامِ الذى هو سبيلُ اللهِ . والمؤمنُ يجاهِدُ بِنِيَّةِ الفَوْزِ برضْوَانِ اللهِ ، لكنَّ غَيْرَ المؤمنِ لَهُ نِيَّةٌ أُخرى ، فهو لاَ يَبْتَغِي رِضْوَانَ اللهِ وَثَوابَه أَصْلاً . وحتى لَوْ كانَ المُجاهدُ مؤمناً لكنه كانَ يُجاهدُ من أَجْلِ المال أو الشُّهرةِ أو أيِّ غَرَضٍ آخَرَ ، لَمَا كانَ لَهُ عندَ اللهِ تعالَى ثَوَابٌ ، ولَمَا اُعْتُبِرَ مُجَاهداً ، بل هو مُنَافِقٌ يتظاهرُ بأنَّه يجاهِدُ فى سبيلِ اللهِ تعالَى فى حين أنَّه فى قَرَارَةِ نَفْسِهِ يُقَاتِلُ من أجْلِ غَرَضٍ دُنْيَوِىٍّ .

- وَإذا اسْتطاعَ المُؤمنُ أن يُجاهِدَ بنفسِهِ وَمَالِهِ فَواجبٌ عليه أن يفعلَ . وإذا مَنَعَهُ المرضُ أو الضَّعْفُ أو التَّقَدُّمُ فى السِّنِّ أو أىُّ عُذرٍ آخَرَ عن الجهادِ بالنفسِ كانَ عليه أن يُجاهِدَ بمالِه . ومعلومٌ أنَّ الجيوشَ تحتاجُ إلى الأموالِ الكثيرةِ لِشراءِ الأسْلِحةِ وَالمُعِدَّاتِ ، والغِذاءِ والدواءِ للجُندِ ، والأُجُورِ والمرتباتِ ، ووسائلِ الاتصالاتِ وغيرِ ذلك من أدَوَاتِ الحربِ . وفى العصورِ الحديثةِ صَارَتْ حَاجَةُ الجيوشِ إلى الأموالِ الباهِظَةِ حَاجةً مَاسَّةً شديدةً بسببِ تقدُّمِ الصناعاتِ الحربيةِ وارتفاعِ أسعارِ منتجاتها . وهكذا صَارَتْ للجِهادِ بالمالِ أهميةٌ مُضَاعَفَةٌ . والأُمَّةُ المسلمَةُ تتعَرَّضُ للهجومِ من الدولِ الاستعماريَّةِ منذُ قَرْنَيْنِ من الزمانِ دُونَ انقطاعٍ (فهاجَمَتْ فَرَنْسَا مِصْرَ سنة ١٧٩٨م ، ثم طَرَدْنَاها بعد ثلاثِ سنواتٍ . ثم هَاجَمَتْنَا إنجلترا سنة ١٨٠٧م وَهَزَمْنَاهَا فى مَوْقعةِ رَشيدٍ وَرَدَدْنَاهَا مَدْحُورَةً على أعقابها . ثم عَادَتْ واحتلَّتْ مِصْرَ سنة ١٨٨٢م بسببِ الخِدَاعِ وبِسَبَبِ الخِيَاناتِ)[1] وهُوجِمَ

(١) كل خطيب يشير إلى ظروف بلده .

المسلمونَ في كلِّ مكان بجيوشِ المستعمرين الإنجليز والفرنسيين والروسِ والإيطاليين والهُولَنْديين . وَلا نَزَالُ إلى اليومِ نقاتلُ في فلسطين والعراق وغيرهما . والحاجةُ إلى المالِ ماسَّةٌ في كلِّ هذهِ المواقِعِ . فَبَادِرْ أيها المسلمُ إلى هذه التجارةِ الرابحةِ مع اللهِ تعالَى إذا لم تكُنْ الفُرْصَةُ مُيَسَّرَةٌ للجهادِ بالنَّفسِ .

(٢) وَيَعِدُكَ اللهُ تعالَى بمُضَاعَفَةِ الثوابِ على جِهادِك بالمالِ في سبيلِ اللهِ أضْعَافاً مُضَاعَفَةً ، فيقولُ عَزَّ وجَلَّ ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة:٢٦١) فلَيْسَ ثَمَّةَ تجارةٌ أكثرُ ربحاً من هذه التجارةِ التى تتضَاعَفُ فيها الأربَاحُ سَبْعُمائةِ ضِعْفٍ ، وقد يُضاعِفُ اللهُ السَّبْعَمائة أضْعَافاً أُخرَى .

(٣) والجهادُ بالمال دليلٌ على صِدق إيمانِك أيها المسلمُ . وفى هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (الحجرات:١٥) فاخْتَبِر نَفسَكَ أيها المسلمُ ، فإذا وَجَدْتَها تُقبِلُ على الجهادِ فى سبيلِ اللهِ بالمال والنفسِ ، وتغَارُ على الإسلامِ وأمَّتِهِ ، وتغْضَبُ للهِ ولدِينهِ ، فاعْلَمْ أنَّك صادقُ الإيمانِ . وإذا وَجَدْتَها تبْخلُ بالمالِ وتمنعُهُ عن الجهادِ والمجاهدين ، وهى ترَاهم يقاتلون العَدوَّ ، وفى حَاجةٍ إلى السلاحِ والغذاءِ والدواءِ ، فَاعْلمْ أن إيمانَك ناقصٌ ، وغَيْرُ صادقٍ ، وبَادِرْ إلى إصْلاحِ نفسِك ، وكَبْحِ جِماحِ أنانيتِك ، وابْذُلْ ما تستطيعُ من المالِ في سبيلِ الإسلامِ . واعْلَمْ أنَّ البُخْلَ الذى يمنعُ المسلمَ من الإنفاق في سبيلِ اللهِ لَوْ ذَاعَ في الأمَّةِ المسلمةِ - لا قدَّرَ اللهُ ! - فإنَّهُ يُعَرِّضُها إلى التهْلُكَةِ . وفى هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:١٩٥) وما قيمةُ الأموالِ في يَدِ المسلمِ إذا انْتَصَرَ العَدوُّ وفَرَضَ سُلطانَهُ على بَلدِهِ ؟! وقد رأينا العدوَّ الصُّهيونىَّ في فلسطين يستولِىَ على بيوتِ الفلسطينيين وقُرَاهُم وحُقُولِهم

وأمْوَالِهم ويطْرُدْ بعضَهم ويقتلْ بعضَهم ، فَلَمْ تنفعْ الأغنياءَ أموالُهم . ورأينا العدوَّ الصهيونىَّ يحتلُّ جزءاً من أرضِ لبنان لأن العربَ بَخِلُوا بأموالِهم وأنفسِهم عن الجهادِ . وحين عادوا إلى رُشْدِهم وأنفقوا بسَخَاءٍ ، وقاتَلوا وصَبَروا استطاعَ حزبُ اللهِ اللبنانىُّ أن يُرْغِمَ إسرائيلَ على الخروجِ من لبنان هاربةً !! واستطاع أن يهزمها مرة أخرى سنة ٢٠٠٦ .

(٤) والقرآنُ الكريمُ يتحدثُ عن الذين تخَلَّفُوا عن الجهادِ بأموالِهم وأنفسِهم في سبيلِ الإسلامِ فيقولُ ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة:٨١) فهذا هو المصيرُ الشنيعُ لهم فى الآخرةِ . وأمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ ﷺ بأنْ يَحْرمَهم من شَرَفِ الخروجِ مَعَهُ للقتال وقالَ تعالى ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ (التوبة:٨٣) وقالَ تعالى أيضاً ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة:٨٤). فكما أن المُسَارَعَةِ إلى الجهادِ بالمالِ والنفسِ دليلٌ على صدقِ الإيمانِ ، كذلك التَّخَلُّفُ عنه والبخلُ الذى يَغُلُّ يَدَ المسلمِ عن البذلِ فى سبيلِ اللهِ ، دليلٌ على الكفر باللهِ ورسولهِ وعلى الفِسْقِ الذى يَحْرمُ الأمواتَ مِن صلاةِ النبىِّ عليهم ، ومن صلاةِ المسلمين على أمْثَالِهم .

(٥) وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ إمامَ المجاهدين وقائدَهم . كان ﷺ على رأسِ الجيشِ يومَ بدْرٍ ، ويومَ الأحزابِ ، ويومَ حُنَيْنٍ - حين بَاغَتَ المشركون المسلمين ، فى كمين نَصَبوهُ لهم ، فَفَرَّ كثيرٌ من المسلمين ، وصَمَدَ النبىُّ ﷺ ولم يفرْ ، وجمعَ حَولَهُ بقيَّةَ الجيشِ حتى اسْتَعَادَ المسلمون زمامَ المُبَادَرَةِ ، وهَزَموا المشركين هزيمةً مُنْكَرَةً . وكان ﷺ يُنْفِقُ بسَخَاءٍ عظيمٍ فى سبيلِ اللهِ ، فلا يُبقِى لبيتِهِ إلا

القُوتَ الضرورىَّ . وكَثُرَتْ الأموالُ بينَ يَديْه ، لكنه ظَلَّ على زُهْدِه فى الدنيا ، ليَذهبَ المالُ فى سبيلِ اللهِ .

(٦) وكان صحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ يسيرون على سُنَّته . وعلى امتدادِ التاريخِ بَذلَ المسلمون الأموالَ فى سبيلِ اللهِ بسخاءٍ ، وكان أهالى البلادِ البعيدةِ يُنجِدون إخوانَهم بالمالِ ، والسلاحِ ، فَانتقَلتِ الأموالُ (من مصرِنا الحبيبةِ) إلى الغَرْبِ والشَرْقِ ، إلى ليبيا والجزائر ، ثم إلى البُوسنةِ والهِرْسِكْ ومن قبلهما أفغانستان ، وفلسطين . فَسَارِعْ أيها المسلمُ إلى الجهادِ بالمالِ ولا تَبْخَلْ بشىء فى سبيلِ اللهِ تعالى[1] .

(الدعاء)

(١) الكلام عن مصر لأن الخطبة ألقيت فى مسجد فى مصر . وعلى كل خطيب أن يتكلم عن بلده .

﴿ . . . وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾

● **الغاية من الخطبة** : تحذير المسلمين من الفتنة وكشف أساليب الفتّانين .

● **العناصر الأساسية** :

(١) فتنة المسلم عن دينه كبيرة من أشنع الكبائر .

(٢) المشركون في مكة هم أساتذة الملاحدة في أساليب الفتنة .

(٣)« أبرهَة » صاحب الفيل والغزو الاستعماري الحديث وفتنةُ المسلمين عن دينهم .

(٤) إفساد المرأة المسلمة كسلاح لفتنة المسلمين عن دينهم .

(٥) الإحلال الشامل للثقافة المادية محل الإسلام

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج:٢٥) ويقول ﴿ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (القصص:٨٧) ويقول سبحانه ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النحل:٩٤) هذه الآياتُ البيِّناتُ توضِّحُ للمسلمين أنَّ « الصَّدَّ عن سبيلِ اللهِ » ، أو صَرْفَ المسلمين عن دينهم ، من أشْنَعِ الكبائرِ . وصَدُّ المسلمين عن سبيلِ اللهِ ، أي عن الإسلامِ ، بأيةِ طريقةٍ كانت ، جزاؤُه العذابُ الأليمُ في جهنم . و « الصدُّ عن سبيلِ اللهِ » كلمَةٌ جَامعةٌ ، تشتملُ على كلِّ عَمَلٍ يبْتغي صَرْفَ المسلمين عن دينهم ، بالقوةِ أو بالحيلةِ والمكْر . وهذا يشملُ الفتنةُ أو هو الفتنةُ التي قالَ اللهُ تعالى عنها ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ (البقرة:٢١٧) ؛ لأن قتْلَ مسلمٍ معناهُ خَسَارةُ رَجُلٍ واحِدٍ ، لكن فِتْنةَ مسلمٍ عن دِينهِ معناها خَسَارةُ مسلمٍ وإضَافةُ مُرْتَدٍّ إلى معسكرِ

أعداءِ الإسلامِ . وهذا المُرتدُّ رُبما يكونُ مِثالاً لغَيْرِهِ من ضِعَافِ الإيمان . وهذا هو ما شاهدناهُ في العصرِ الحديثِ ، حيثُ سَعَى المرتَـدُّون إلى فتنةِ غَيرِهِـم عن طريقِ الكُتبِ والمجلاتِ والصحفِ والتعليمِ والثـقافةِ ، فظهَرَ مَعْنَى الآيةِ الكريمةِ السابقةِ ظهوراً سَاطعاً . ولهذا نُـحَـذِّرُ المسلمينَ من أخطارِ الصدِّ عن سبيلِ اللهِ ومِن الفتنةِ التي يتعرَّضون لها بطُـرقٍ خَبيثةٍ مُراوغةٍ فيما يَرَوْن ويشاهدون ويقرأون . ونحُـثُّ كلَّ مسلمٍ على التدقيقِ فيما يشاهدُ ويسمعُ ويقرأُ ، وفيما يُشاهدُ أهْلُـه ويسمعون ويقرأون ، حتى لا يُفْـتَنون عن دينهم ، شيئاً فشيئاً ، ويوماً بعدَ يومٍ ، دون أن يشعروا .

٢- ومن المُدْهشِ حقاً تشَـابُه أساليبِ الصدِّ عن سبيلِ الله وأسَاليبِ فتنةِ المسلمين عن دينِهم في العصورِ الحديثةِ بالأساليبِ التي اتَّـبَعَها المشركون العَرَبُ وأعداءُ اللهِ وأعداءُ الإسلامِ في عصرِ النبوةِ وقَبْلَه . فأبْـرَهَـةُ الحَبَشيُّ الذي كان يحتلُّ اليمنَ شَيَّـدَ كنيسةً لكي يَحجَّ إليها العرَبُ بَدَلاً من الكعبةِ . ولكن العربَ رفضوا ذلك ، فتوَجَّـهَ أبرَهةُ بجيشِهِ وأفيالِـهِ إلى مكة المُكرَّمةِ لهدْمِ بيتِ اللهِ الحرامِ . وهزَمَ اللهُ تعالى أصحابَ الفيلِ ؛ وفي هذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الفيل:١-٤) فالله تعالى هو الذي دَحَرَهم ولم يقاتِلْ العربُ دفاعاً عن بيتِ اللهِ الحرَام . وإن حاولتْ بعضُ القبائلِ مُناوَشَةَ الجيشِ الحبشيِّ . وفي العصورِ الحديثةِ جاءتْ جيوشُ فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وهولندا ، وروسيا ، واحتـلتْ بلادَ المسلمين وحاولتْ فتنةَ المسلمين وصدَّهم عن دينهم بالقـوةِ ، ودَمَّرت فرنسا المساجدَ في مصرَ ، وقذَفتْ الجامعَ الأزهَرَ بالمِدْفعيَّـةِ الثـقيلةِ ، وحوَّلتْـهُ إلى اصْطبلٍ تربِـطُ فيه خيولَـها ، وحوَّلتْ بعضَ المساجدِ إلى خمَّـاراتٍ . وفعَلَـتْ فرنسا في الجزائرِ مثلما فعَلتْ في مصْرَ ، وربَّـمَا أكثرَ ، لفتنةِ المسلمين عن دِينهم وصَدِّهم عنه . وفعلتْ روسيا ما هو أشنعُ من ذلك في الدويلاتِ المسلمةِ التي احتلَّـتها أيامَ الاتحادِ السوفيتيِّ ، فنَشَـرَتْ الإلحادَ بالقوةِ الجبريةِ بين المسلمين ، وفتحَتْ لهُ المعاهدَ والكلياتِ وسخَّرتْ له الإعلامَ .

واستخدَمَ الجاهليون العربَ فنَّ الشِّعْرِ وفنَّ الغِناءِ والرقصِ لصَرْفِ الناسِ عن الإسلام . فكان عبدُ اللهِ بن خَطَلَ يجمعُ الناسَ في حَفَلاتٍ مَاجِنةٍ تغني فيها امرأتان ـ هما فَرْتَنَى وفِتْنَة ـ بشِعْرٍ قبيحٍ فيه سِبابٌ وقذْفٌ في حقِّ رسولِ اللهِ ﷺ . واليومَ لا تزالُ الفنونُ والآدابُ تُتَّخَذُ وسَائلَ لفتنةِ المسلمين وصدِّهم عن دينهم ، سَواءٌ في البلادِ المسلمةِ أو في الخارجِ ، كما فعَلَ سَلمان رُشدي . وهذه هي دُور السِّينما والمسرح في كثيرٍ من البلاد المسلمةِ تمارسُ تقاليدَ عبدِ اللهِ بنِ خَطَلَ و« فَرْتَنَى وفِتْنَة »! وتقومُ الأجهزة الحديثةُ بنَقْلِ الكثيرِ من الأعمَالِ التي تفتِنُ المسلمَ عن دينه ، إلى داخل غرْفةِ نومِه! والقنواتُ الفضائيةُ وشبكةُ الاتصالاتُ الدوليةُ «الإنترنتْ» تُيسِّرُ لأعْداءِ الإسلامِ الوصولَ إلى كلِّ مسلمٍ مهما بَعُدَتْ بلادُه ! وكثيرٌ من المسلمين الجُهَّال يستخدمون الأجهزةَ التي تمكِّنهم من الْتقاطِ البرامجِ الماجنةِ والفاسِدةِ ، فيرَاها أولَادُهم ونساؤهم . ولا يَعْلَمُ نتائجَ هذه الأوضاعِ إلا اللهُ وحْدَه !!

٣- واستخدم المستعمرون المرأةَ لصرْفِ المسلمين عن أخلاقِ الحِشمَةِ والعفَّةِ وإغْراقِهم في الفحْشاءِ . وقد جاء نابليون إلى مصر (١٧٩٨م) ومع جيشِه ثلاثمائة امرأةٍ نشَرْنَ الفِسْقَ والفُجورَ والفحْشاءَ في القاهرة . وقاوَمَ الشعبُ المصريُّ المسلمُ ، ولا يزالُ يُقاوِمُ ، ولكنَّ التُّرْبَةَ الأخلاقيةَ المصريةَ لم تتطهَّرْ من أدْرَانِ الفحْشاءِ حتى اليوم . ولا تزالُ فتنةُ النساءِ تعملُ عَمَلَها في البيئةِ المصريةِ . وما حَدثَ في مصرَ حَدثَ في تركيا والشامِ والجزائرِ والمغربِ والهندِ وإندونيسيا وماليزيا والدول الآسيويةِ الأخرى ، والدولِ الإفريقيةِ . وقد ضاعَتْ جهودُ جَبَّارةٌ في التصَدِّي للفتنةِ عن طريقِ المرأةِ ، فكان ذلك من أسبابِ تخَلُّفِ المسلمين . وتطوَّرَتْ المشكلةُ حتى صارتْ الأممُ المتحدةُ تُطالبُنا بإباحةِ الزنا واللُّواطِ والدَّعارَةِ ، باسْمِ الحريات الفرديةِ ! وتُريدُنا أن نَنْبُذَ القرآنَ الكريمَ وما فيه من تشريعاتٍ تحرِّمُ الفحْشاءَ ، ونتَّخِذَ حُرِّيةَ المرأةِ فلْسَفةً لنا تُبيحُ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى . وإذا رفضنا كنا رَجْعيِّين مُتخلِّفين مُتمرِّدين على الحضارةِ الحديثة ! ولا يزالُ الغرْبُ يُلِحُّ علينا لنَنْبُذَ إسلامَنا

ونوافقَ على إباحةِ الزنا واللواطِ والدعارةِ ! هذا مع العلمِ بأن الغربَ يُعاني الأمَرَّيْن بسببِ الفحشاءِ وما تؤدِّي إليه من مواليدَ لا يُعْرَفُ لهم آباءٌ ، وما تسببه من انتشارِ الأمراضِ المُعْديةِ ، وعلى رأسِها مَرَضُ نقصِ المناعة المكتسبة ، وعزوفِ الناسِ عن الزواجِ ، وقلةِ الذُّريَّـةِ وتناقصِ عَددِ السكانِ عاماً بعد عام .

٤- ومع وجودِ الاستعمارِ الأوروبي وبمُساعَدتهِ غَزتِ البلادَ المسلمةَ أفكارٌ مُضادَّةٌ للإسلامِ ومُزاحِمَةٌ للولاءِ له ، مثالُ التوجُّهات القوميةِ التي مزَّقتِ الأمَّةَ المسلمةَ ، إلى عَرَبٍ وهنودٍ وأتراكٍ وبَرْبَرٍ ، وأشعَلتِ العداءَ بين الشعوبِ المسلمةِ التي كانت تُشكِّلُ أمةً واحدةً . وكان ذلك على حِسابِ العقيدةِ الإسلاميةِ التي تقرِّرُ أن المؤمنين إخوةٌ ، والتي شكَّلتْ وحْدةً واحدةً من العربِ والفُرْسِ والهنودِ والأفارقةِ والبَرْبَر ، وبذلك نشأتْ الدولةُ الإسلاميةُ العُظمى في العصريْن الأمويِّ والعبَّاسيِّ ، وكانت دولةُ الخلافة العثمانيةِ آخرَ تشكيلٍ سياسيٍّ ممثِّلٍ لها على أرْضِ الواقعِ . ثم زادَ تفتُّتُ الأمةِ المسلمة بظهور الدولِ والدويلاتِ الوطنية حتى بلغَ عَدَدُها خمسَاً وخمسين دَوْلةً ، بعضُها لا يتجاوزُ عددُ سكانها مليوناً من البشرِ! كانت القوميةُ والوطنيةُ ـ خارجَ نِطاقِ الأمةِ الواحدةِ ـ فتنةً سياسيةً كبرى ، أدَّتْ إلى نبْذِ التعاليمِ القرآنيةِ في قولهِ تعالى عن المؤمنين ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢) وأكثرُ من هذا استوردَ القوميون الفلسَفةَ المادية المُلحِدةَ والقوانينَ الوضعيةَ البشريةَ لتحلَّ مَحلَّ الشريعةِ الإسلاميةِ . وتوسَّعَ القوميون والوطنيون الهنودُ والأتراكُ والعربُ في إحلال الحضارةِ الغربيةِ والثقافةِ الغربيةِ مَحَلَّ الحضارةِ الإسلاميةِ والثقافةِ الإسلاميةِ ، إحْلالاً شَمِلَ كلَّ شيءٍ تقريباً . والآن تحاولُ أمريكا إحلالَ أطعِمَتِها مَحَلَّ الأطعِمَةَ الشرقيةِ ! وترى المسلمين يؤدون الصلاةَ وهم يرتدون «الجينز» وعلى صدورهم وظهورهم لافتاتٍ كُتِبَتْ بالإنجليزية بحروفٍ ضخمةٍ ، فتشعرُ بأن الفتنةَ الشاملةَ ماضيةٌ في طريقها! فهل نستيقظُ ونتمَسَّكُ بدينِنا وثقافتِنا ونردُّ الهَجْمَةَ الأمريكيةَ على أعقابها؟

(الدعاء)

أولادنا هبة الله لنا

● **الغاية من الخطبة** : الحث على العناية بالقواعد التربوية الإسلامية .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الأولادُ هِبةٌ من الله تعالى لعباده .

(٢) واجب المسلم نحو أولاده : التربية الإسلامية .

(٣) أولادُ الأنبياء في القرآن الكريم .

(٤) القواعد التربوية الأساسية : (الاستعانة بالله تعالى والتضرُّع إليه ـ التربية الشاملة للجسم والعقل والروح ـ التربية بالقدوة ـ التربية بالممارسة للسلوك الحميد ـ الثواب والعقاب الرشيد ـ شَغْلُ أوقاتِ الفراغ ـ تناسُقُ المؤثراتِ التربوية ـ المثابرةُ وعدم القنوط ـ إطالةُ فتراتِ المخالطة ـ الحماية والوقاية) .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى:٤٩،٥٠). في هاتين الآيتين الكريمتين يُعلمُنا ربُّنا ﷻ أن الأولادَ ـ من البنين والبناتِ ـ هِبَةٌ من اللهِ الخالقِ ﷻ ؛ فهو سبحانَه خَالِقُ السماواتِ والأرضِ ، ومَالِكُ السماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ ، وهو بمَشيئتِهِ وَحْدَهُ يَهَبُ الإناثُ لمَن يشاءُ ويهبُ الذكورَ لمَن يشاءُ ويهبُ الإناثَ والذكورَ معاً لمن يشاءُ ، ويحرمُ مَن يشاءُ مِن كلِّ وَلَدٍ . وإذا عَلِمَ المسلمُ بهذه الحقيقةِ وسَلَّمَ بها ، رَضِيَ بما شاءَ اللهُ له مِن الولَدِ أو عَدَمِ الولَدِ ، ولم يَتبَرَّمْ أو يُلْقِي تبعَةَ ذلك على زوجتِه ، أو يطلِّقْها ! وهذا لا يَمنعُ المسلمَ من البحثِ عن علاجٍ لنفسِهِ أو لزوجتِه ، ولكن وَاجبُهُ أن يَرْضَى في نهايةِ المَطافِ بما شاءَ اللهُ

له من الهِبَةِ ، أي الوَلَدِ ، وبذلك تستقِرُّ حَياتُه وتهدأ نفسُه ، وينجو من الاكتئابِ والحُزن . والمسلمُ الحكيمُ يُفسِّرُ كلَّ شيءٍ على نحوٍ حَسَنٍ . فإذا لم يُنجبْ الوَلدَ قالَ لنفسِهِ : هذه حِكمةُ اللهِ ومَشيئتِهِ ، وهي الاختيارُ الأفضلُ لي ، ولو رُزقتُ بوَلدٍ فربما كان فاسداً وكان سبباً في شقائي وخُسْراني . وإذا أنجبَ البناتِ دون الذكورِ فسَّرَ ذلك على أن اللهَ أرادَ لهُ الجنةَ بتربيةِ البناتِ كما قال رسولُ اللهِ ﷺ . وهكذا دائماً يُفسِّرُ مَشيئةَ اللهِ على النحوِ الحَسَنِ ، فيُرْضِي رَبَّه ويُرْضي نفسَه أيضاً ، ولا يُعكِّرُ صَفوَ حياتِه بعدَمِ الرِّضا بمشيئةِ اللهِ تعالى وهبَتِه .

● ولا شكَّ أن البشرَ بحُكمِ طبيعتهم يُحبُّون الذريَّةَ ، ويفضِّلون الذكورَ . لكن المؤمنَ يحبُّ الولدَ الصَّالحَ ذكراً كان أو أنثى . فالصلاحُ هو أهمُّ أوصافِ الذريَّةِ عنده . والقرآنُ الكريمُ يذكرُ لنا أنَّ عبادَ الرحمنِ يقولون ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان:٧٤) فهم يسألون اللهَ الذريَّةَ التي تقرُّ بها أعينُهم وتكون أئمةً للمتَّقين . والمقصود بهذا ـ واللهُ أعْلمُ ـ أن تكونَ ذرِّيتهم في غايةِ الصلاحِ والتقوى . وهذا هو الدعاءُ الذي ينبغي أن نرَدِّدَهُ جميعاً في كلِّ حين . فالمسلمُ الصالحُ يفضِّلُ العُقْمَ على الولدِ الفاسِدِ ؛ وإذا كان يحبُّ الذريَّةَ مثلَ غيرِهِ من الناسِ فإنه لا يحِبُّ الذريةَ الفاسِدةَ ولا يتمناها

٢- وإذا كنا نتمنى الذريةَ الصالحةَ فإنَّ علينا أن نعملَ لبلوغِ هذه الأمنيةِ العزيزةِ . يقولُ النبي ﷺ :« كلُّ مَولودٍ يُولَدُ على الفِطرَةِ فأبَواهُ يُهَوِّدَانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه». وبهذا الحديث يبيِّنُ لنا أهميةَ الدورِ التربويِّ للأبِ والأمِ في غَرْسِ العقائدِ الدينيةِ والمبادئ السُّلوكيةِ في عقلِ الطفلِ وقلبِه . ويُحمِّلُنا النبيُّ ﷺ مَسئوليةَ التربيةِ والرعايةِ لهبةِ اللهِ الكبرى ـ أولادِنا ـ فيقولُ : « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رَعيَّته . .» وهذا هو ما نريدُ أن ننبِّهَ المسلمَ إلى واجبِ القيامِ به . فالرجلُ منا يتزوجُ ، وتراهُ ينتظرُ الولدَ بلهفةٍ وشوقٍ . وإذا تأخَّرَ الحمْلُ قليلاً سارَعَ إلى الأطباءِ يطلبُ الفَحْصَ والعلاجَ . لكنه إذا رُزقَ بالولدِ أهملَ تربيتَهُ الإسلاميةَ ، خصوصاً إذا كَثُرَ الأولادُ ، وبعدَ سنواتٍ تراهُ يشكو من أولادِهِ ومن

سُوءِ سُلوكِهم وقلَّةِ أدَبهم وتمرُّدِهم عليه ! وهو ينسَى أنه لم يهتمَّ بتربيتهم . وأن المسئوليةَ تـقعُ عليه أولاً وعلى زوجتِه ثانياً . فانتَبِـه أيها المسلمُ إلى واجبِـكَ نحوَ أولادِك ، واحْرِصِ على تربيتهم لكي تفرحَ بهم بعدَ ذلك حين تجدهم صالحين ، فتـقَـرُّ بهم عَينُـك . وتتشـرَّفُ بهم وتفخَرُ ، وتستطيعُ الاعتمادَ عليهم في شيخوختِـك .

٣- ولك أيُّها المسلمُ الأُسْوَةَ الحَسَنَةُ في تربيةِ الأنبياءِ لأولادِهم . فهذا نبيُّ اللهِ نوحٌ عليه السلام ، تجدُهُ حَريصاً أشدَّ الحِرْصِ على نجاةِ ولدِهِ الكافرِ ، على أملِ أن يهديَه اللهُ تعالى إلى الإيمانِ ، كما جاءَ في سورةِ هودٍ ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (هود:٤٥) فقد وعَدَهُ اللهُ تعالى بنجاةِ أهلِه ؛ وابنُه منهم حَسْبَ اعتقادِ نوحٍ . لكنَّ اللهَ تعالى أعْلَمَه أنه لَيسَ مِنْ أهْلِه ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ (هود:٤٦) والدَّرْسُ المهمُّ هنا هو إصرارُ نوحٍ عليه السلام على هِدايةِ وَلدِهِ ، وعدَمِ اليأْسِ من ذلك . وعليكَ أيها المسلمُ أن تتمسَّكَ بالأملِ في صلاحِ ولدِكَ مهما طالَ فسَادُهُ ، وأن تُـثابِرَ على تنفيرِهِ من الفسادِ وتحبيبِـه في الصلاحِ والاستـقامةِ . وفي سيرةِ إبراهيم عليه السلام ، وهو أبو الأنبياءِ ، دَرْسٌ آخرَ لكلِّ والدٍ مسلمٍ . إنَّ إبراهيمَ كان يدعو ربَّـه فيقولُ ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم:٣٧) فهو يسألُ اللهَ أن يرزقَـهم من الثمراتِ ، وهذا أمرٌ دُنيَويٌّ ، ولكنه وسيلةٌ ضروريةٌ لإقامةِ الدينِ . فالفقيرُ المُـعْـدَمُ يقضي كلَّ وقتِه في البحثِ عن الرزقِ ، ولا يَبْقى له وقتٌ للدعوةِ إلى اللهِ أو الجهاد في سبيلِهِ ؛ ونحن اليومَ بحاجةٍ إلى هذا الفهمِ السديدِ للتربيةِ الإسلامية . فالأبُ يسْعى لتوفيرِ الرزقِ لأولادِهِ ، وفي الوقتِ نفسِه يُعلمُهم دِينَهم ، ويحثُّهم على الدعوة إليه والإسْهامِ في حِفظِه ونَشْرِهِ ؛ وهذا هو تفسيرُ قولِ اللهِ تعالى على لِسانِ إبراهيمَ ﴿ رَبَّنَا

لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (إبراهيم:٣٧) فإقامَةُ الصلاةِ في هذه العبارة هي إقامةُ الدينِ . ومن المُحْزِنِ حقاً أننا لا نجدُ هذه الأيامَ مَن يُسْهِمُ في الأعمالِ الخيريةِ إلا القلة . ويعلمُ ذلك جيداً كلُّ مَنْ أدارَ مؤسَّسةً إسلاميةً مِن أيِّ نوعٍ . فأكثر الناس مشغولٌ بالدنيا فقط . لا يعملُ إلا بأجرٍ ، حتى لو كان غنياً ولا يحتاجُ إلى مزيد !

- ومن المعلومِ للكافَّةِ أنَّ أولادَ نبيِّنا ﷺ (القاسمَ والطاهرَ ، والطيبُ وهو عبد الله ، وإبراهيم) ماتوا جميعاً وهم صِغَار . وأمَّا بناتُه رضيَ اللهُ عنهنَّ فلا تذكرُ الأخبارُ شيئاً كثيراً عن طريقتِهِ في تربيتهنَّ ؛ لكن القدْرَ القليلَ الذي ورَدَ عنهنَّ يشيرُ إلى أنهن تلَقَّيْنَ أسْمَى تربيةٍ . فهذه رُقَيَّةُ ﷺ تهاجرُ إلى الحبَشةِ مع زوجِها عثمانِ بن عفانَ ﷺ ، فِراراً بدينِها . ثم تهاجرُ مرةً أخرى إلى المدينةِ في سبيلِ اللهِ . وفي الهجرتيْن تحمَّلتْ عَذاباً وحِرْماناً وواجَهَتْ أخطاراً ، فثبَتَتْ على عَزيمتِها الراسخةِ . وقصةُ زَينبَ ﷺ أنموذَجٌ للوفاءِ للزوجِ . فحين وقعَ زوجُها في أسْرِ المسلمين يومَ بَدرٍ أرْسَلتْ قِلادَتها فِدَاءً له ، لكن النبيَّ ﷺ رَدَّها إليها وأطلقَ سَرَاحَ زوْجِها . ومرةً أخرى أسَرَ المسلمون زوجَها أبا العاصِ بن الربيعِ - وكانت زينبُ في المدينةِ ، فأجارَتْه ؛ وإكراماً لها أطلقَ النبيُّ ﷺ سَرَاحَهُ ورَدَّ إليه ما أُخِذَ منه . وكانت نتيجةُ هذه المعاملةِ الشريفةِ أن عادَ أبو العاصِ إلى المدينةِ مُسلماً! وهاجرَتْ أُمُّ كُلثوم إلى المدينةِ مع أهلِ النبيِّ ﷺ وذاقَتْ مشاقَّ الهجرةِ بما فيها من حِرمانٍ ومشقةٍ وقلقٍ . وأمَّا فاطمةُ ﷺ فقد جاهدَتْ مع عليِّ بن أبي طالبٍ في مكةَ والمسلمون قِلَّةٌ مُطارَدَةٌ ، وأنجَبَتِ الحسنَ والحُسيْن ، وهاجرَتْ وجاهدَتْ ، لكنَّ المؤلفين المسلمين لا يتوسَّعون في ذكرِ أخبارِ النساءِ كرامةً لهن ، بحسب التقاليدِ العربيةِ .

٤- ونستطيعُ أن نوجزَ القواعدَ التربوية من الكتابِ والسُّنة في عشرٍ ، هي : الاسْتعانةُ باللهِ تعالى والتضرُّعُ إليه سبحانه أن يهديَ أولادَنا إلى الحقِّ والرَّشادِ .

والاهتمامُ بتربية الأولاد تربيةً شاملةً ، فلا نُهمِلُ الدِّينَ مِن أجْلِ الدنيا ، أو العكس . وأن نكون قُدوةً حَسَنةً لهم ، وأن نُعطيهم الفرصةَ لممارَسَةِ الأعمالِ الخيِّرَةِ والمفيدة ، وأن نُثيبَهم إذا أحْسَنوا ونعاقبَهم إذا أساءُوا ، دون مبالغةٍ في الثوابِ أو العقابِ ، وعلينا أن نشْغَلَ أوقاتِ أولادِنا لكيلا يكون هناك فراغٌ يُستغَلُّ في الإفسادِ . ولا بُدَّ أن ننسِّقَ بين الأبِ والأمِّ ، فلا يدْفعُ أحدُهما الأولادَ في اتجاهٍ مُضادٍ للآخَرِ . وعلينا بالمثابَرَةِ والاستمرارِ على الرغمِ من عدمِ ظهورِ نتائجَ سريعةٍ ، فاليأسُ خَطرٌ كبيرٌ . والتربيةُ تحتاجُ إلى طولِ الـمُخالطَةِ بين الآباءِ والأولادِ . وبعد ذلك لا بُدَّ من وقايةِ الأولادِ من القُدْواتِ السَّيئةِ والمؤثراتِ السلبيةِ ورفاقِ السوءِ .

(الدعاء)